مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D

مقالات RCD

القيادة الروسية: قراءة في تراجع مرونة المناورة

كريستيان كاريل(Christian Caryl)

ترجمة: حوراء منذر

ملحوظة:

ان كل الاراء الواردة في المقال تعبر عن رأي كاتبها

نبذة عن مركز الرافدين للحوار

يُعَدُّ مركزُ الرافدين للحوار RCD من المراكز النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخبَ السياسيةَ والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في تداول الافكار البناءة، فهو مركز فكري مستقل (THINK TANK)، يعمل على تَشجِيعِ الحِوارات في الشؤون السِياسِيّةِ والثَقافية والاقتصادية بين النخب كافة؛ لتعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السِلْم المجتمعي، ورفد مؤسسات الدولة والمجتمع بالخبرات والرؤى الاستراتيجية؛ ابتغاء تفعيل دورها والارتقاء بأداءها. و يمثل المركز فضاءً حراً يتّسِم بالموضوعية والحياد ويوظف مخرجاته لمساعدة صناع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات.

تأسس المركز في الاول من شباط (فبراير) ٢٠١٤ في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في الفضاء الالكتروني تضم عددا من السياسيين والأكاديميين ورجال الدولة التنفيذيين والقضاة والدبلوماسيين ورجال الدين، وقد تطورت الفكرة لاحقاً، ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

يضم «مركز الرافدين للحوار RCD» اليوم كمشاركين في برامجه وفعالياته ونشاطاته أكثر من خمسة الاف عضو عراقي وعربي واوربي واسيوي من التوجهات السياسية والاختصاصات الأكاديمية كافة، اتفق فيه الجميع على اعتماد الحوار ركيزة أساسية لمواجهة المشكلات، وإنتاج حلول استراتيجية، تتناغم ورؤية المركز في بناء شرق اوسط جديد ومختلف ينطلق من عراقٍ مزدهرٍ. كما يعمل في اروقة المركز وضمن كوادره المتقدمة اكثر من ٧٠ شخصاً فاعلاً ومن مختلف الاختصاصات قد توزعوا ما بين مجلس الادارة وهيأة المستشارين والباحثين وزملاء المركز والكادر الاداري فهم يتنافسون فيما بينهم من اجل تقديم النتاجات العلمية والثقافية والرؤى السياسية والاجتماعية والاقتصادية الرصينة التي تخدم الوطن والمواطن.

لم يكتفِ المركز بالتواصل الالكتروني، بل أقام مجموعة من النشاطات على أرض الواقع شملت عدداً من الندوات والمؤتمرات وورش العمل والجلسات الحوارية التخصصية والملتقيات السنوية وفي مجالات متعددة، كما عمد المركز الى الاهتمام بالنتاجات العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تصدر في قارتي اوربا واسيا حاملاً على عاتقه ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها، فضلاً عن طباعة الكتب المؤلفة ذات الصلة بالواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والامني، كما شرع بنشر سلسلة الاطاريح والرسائل الجامعية التي تعنى بالأمور التي تخدم الصالح العام فقد تمت طباعة مجموعة منها، كما اعد المركز مجموعة من استطلاعات الرأي الميدانية الى غير ذلك فضلاً عن اصداره مجلةً علمية محكمة تضم بين طياتها مجموعة من الابحاث والمقالات العلمية والثقافية تحت مسمى مجلة (رواقات).

فيما يعد ملتقى الرافدين (RCD-FOURM) معلماً بارزاً ضمن انشطة المركز والذي يعد الاول من نوعه في العراق، والاكثر سعةً وتنظيماً، ويهدف الى اثراء الحوار بين صناع القرار والخبراء في القضايا التي تهم البلد والشرق الاوسط، وتعزيز النقاشات بشأنها، وتبادل الخبرات وابرام الاتفاقيات ومذكرات التفاهم وآليات التعاون.

مقالاتRCD

القيادة الروسية: قراءة في تراجع مرونة المناورة

كريستيان كاريل(Christian Caryl)[1]

ترجمة: حوراء منذر[2]

لطالما كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين رجلًا مصابًا بجنون الارتياب (Paranoia)(٣). ونعلم، على سبيل المثال، أنه تجنّب -منذُ وقت طويل- استخدام هاتف محمول شخصي، مدركًا تمامًا لمدى سهولة تعقّب هذه الأجهزة. غير أن وثيقةً صادرةً عن الكرملين، سُرِّبت مؤخرًا إلى الصحافة من قبل جهاز استخبارات أوروبي، كشفت عن قدر غير مسبوق من الارتياب، إذ لم يعد يُسمح للزوار بالاقتراب منه إلا بعد خضوعهم لمرحلتين من التفتيش الأمني. كما بات حراسه الشخصيون يفرضون سيطرة كاملة على جدول ظهوره وتحركاته، حتى إنهم ألغوا عمليًا أي زيارات إلى مواقع لها صلة بالمؤسسة العسكرية. أما فيما يتعلق بالهواتف المحمولة، فلم يعد مسموحًا لأي شخص يعمل بالقرب من بوتين بحمل هاتف متصل بالإنترنت؛ بل يُسمح فقط باستخدام أجهزة غير مرتبطة بالشبكة. كذلك جرى تركيب أنظمة مراقبة داخل منازل الطهاة والسائقين وعمال النظافة العاملين لديه، كما مُنعوا من استخدام وسائل النقل العام. والأكثر دلالة من ذلك أن بوتين وأفراد عائلته لم يعودوا يسكنون في مقارّهم المعتادة، بل باتوا يقيمون في مواقع سرّية ذات حماية أمنية مشددة. وتفيد الوثيقة بأن بوتين لم يعد يعمل إلا من داخل ملاجئ موزعة في أنحاء جنوب روسيا.

وبالطبع، من الممكن أن تكون أجهزة الاستخبارات التي سرّبت هذه الوثيقة إلى وسائل الإعلام تمارس لعبةً خاصة بها، ربمّا عبر استخدام معلومات مضللة تهدف إلى بثّ الفتنة وزرع انعدام الثقة داخل الكرملين. بيد أن التفاصيل التي كشفها التسريب تبدو منطقيةً تمامًا في ضوء القيود والضغوط التي يجد بوتين نفسه فجأةً أمامها.

في كانون الثاني/يناير، نجحت القوات الأمريكية في اختطاف الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو (Nicolás Maduro) من مقره من دون تكبد أي خسائر بشرية. وفي نهاية شباط/فبراير، اغتال الإسرائيليون المرشد الأعلى الإيراني السيد علي خامنئي في اليوم الأول من الحرب ضد إيران، إلى جانب عدد من كبار القادة الإيرانيين الآخرين. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يتمكنون فيها من تحديد أهداف فردية داخل طهران بدقة، فقد نفّذ الأمريكيون والإسرائيليون هذه العمليات من خلال مزيـج من مصادر بشرية مختارة بعناية، واستخبارات الإشارات عبر تتبّع المكالمات الهاتفية واستخدام الإنترنت، ليس فقط للأشخاص المستهدفين، بل أيضًا لمساعديهم وحراسهم وأفراد طواقم الدعم المحيطين بهم. وكل ذلك يعني أن الحكّام المُستبدين لم يعودوا قادرين على النوم مطمئنين كما كان الحال في السابق.

يُعرَف الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية الأوكرانية، كيريلو بودانوف (Kyrylo Budanov) — الذي يشغل حالياً منصب رئيس ديوان الرئيس فولوديمير زيلينسكي (Volodymyr Zelensky) — بأنه من المهتمين بدراسة أساليب الاغتيالات الإسرائيلية الموجّهة، ويبدو أن هذه الدراسات قد أتت بثمارها؛ إذ نفّذ الأوكرانيون سلسلة من عمليات الاغتيال استهدفت ضباطًا عسكريين روسًا وسياسيين وإعلاميين، بعضهم في قلب موسكو نفسها.

في كانون الأول/ديسمبر، أسفر تفجير سيارة مفخخة في العاصمة عن مقتل الجنرال فَنيل سارفاروف (Fanil Sarvarov)، ويبدو أن تلك العملية تحديدًا أثارت موجةً من الذعر داخل أوساط النخبة الحاكمة في روسيا، إذ تشير الوثيقة المسرّبة — بحسب ما ورد فيها — إلى أنها دفعت كبار المسؤولين الأمنيين إلى عقد اجتماع تبادلوا

خلاله الاتهامات بشأن ثغرات أمنية، سواء كانت حقيقية أم متخيَّلة. ونظرًا إلى أن روسيا حاولت مرارًا وتكرارًا اغتيال زيلينسكي، فإن لدى بوتين كل الأسباب التي تجعله يعتقد أنه هو الآخر بات هدفًا محتملًا للاغتيال.

قد يكون بوتين يخشى خصومه الداخليين بقدر خشيته من الأوكرانيين؛ فالشائعات حول القيام بمؤامرات انقلابية تنتشر بكثرة في موسكو، بيد أن مشكلات الرئيس الروسي تبدو في الواقع أكبر من ذلك بكثير، فقد تمكّن من البقاء في السلطة طوال الـ ٢٦ عامًا بفضل حفاظه الدائم على تقدّمه بخطوات على خصومه، لكنه اليوم ربمّا بدأ يفقد هامش المناورة الذي اعتاد عليه.

وقد أُحبط الهجوم الروسي الذي كان مخططًا له هذا الربيع قبل أن ينطلق فعليًا. ويؤكد الأوكرانيون أنهم ألحقوا بالقوات الروسية (٣٥) ألف خسارة بشرية خلال شهر آذار/مارس وحده — وهو، بحسب كييف، الشهر الخامس، على التوالي، الذي يتجاوز فيه عدد القتلى والمصابين بجراح بالغة الروس معدّل تجنيد الكرملين لجنود جدد. ولعل الأهم من ذلك أن تضحيات هؤلاء الجنود ذهبت سدى بالكامل، إذ لم يتم تحقيق أي أهداف استراتيجية كبرى. وفي هذا السياق، قال مايكل كوفمان (Michael Kofman)، وهو زميل أقدم في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي: "إن أوكرانيا لا تُبلي بلاءً حسنًا فحسب، بل إن أداءها أفضل من المتوقع". وقال أيضًا: "إن الوقت لا يصبّ في مصلحة روسيا في هذه الحرب ".

في الواقع، تمكّن الأوكرانيون الآن فعليًا من دحر القوات الروسية على امتداد عدة جبهات. ويبدو أن قادة بوتين العسكريين لا يملكون أي أفكار جديدة لتغيير الديناميكية الأساسية في ساحة المعركة. وما لم يتمكنوا من تغيير ذلك، فإن الدفع بمزيد من القوات العسكرية إلى القتال سيثبت عدم جدواه.

وعلى النقيض من ذلك، يبدو أن الأوكرانيين يمتلكون مخزونًا لا ينضب من الأفكار الجديدة؛ فكل يوم يكشف عن تقنية جديدة مذهلة أو استخدام مبتكر لتقنية قديمة. كما يحمل كل يوم أنباء عن ضربة جريئة جديدة في عمق الأراضي الروسية.؛ ففي الخامس والعشرين من نيسان/أبريل، على سبيل المثال، استهدفت طائرات مسيّرة أوكرانية قاعدة جوية روسية في مدينة تشيليابينسك الواقعة جنوب جبال الأورال، على مسافة تزيد قليلًا على (١١٠٠) ميل من أوكرانيا.

قد كرّست قوات كييف موارد كبيرة لتدمير الدفاعات الجوية الروسية، التي باتت عاجزةً عن توفير الحماية لجميع الأهداف الاستراتيجية ببساطة؛ ففي مرحلة ما قبل بضعة أسابيع، أدى التهديد بشن هجمات أوكرانية إلى إغلاق المطارات الدولية الأربعة في موسكو في آن واحد. وفي الواقع، يبدو أن اتساع نطاق الضربات الأوكرانية قد أثّر في قرار الكرملين استبعاد المعدات العسكرية من المشاركة في احتفالات "يوم النصر" في التاسع من آيار/مايو. وفي مشهد مُحرِج، شعر بوتين حتى بأنه بحاجة إلى مطالبة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب (Donald Trump) بثني الأوكرانيين عن شن هجمات خلال العرض العسكري، ومن الواضح أن الروس باتوا في حالة ارتباك وقلق.

ومع ذلك، فإن كييف لا تنفّذ مثل هذه الضربات لمجرد تحقيق تأثير نفسي، إذ تشير الأدلة إلى أن المخططين الأوكرانيين باتوا يفكرون بجديّة أكبر من أي وقت مضى في كيفية تعظيم أثر هجماتهم. ففي نهاية شهر نيسان/أبريل، استهدفت طائرة أوكرانية مسيّرة بعيدة المدى مصفاة نفط في مدينة بيرم، الواقعة على بُعد أكثر من ٩٠٠

ميل من الحدود، مستهدفةً أبراج التقطير — وهي الأنظمة التي تُمكّن من فصل النفط الخام إلى بنزين ومشتقات بترولية أخرى.

إن استهداف صهاريج التخزين يوفّر مشاهد درامية مذهلة للحرائق، لكنه يظلّ سهل الإصلاح نسبيًا؛ أما البنية التحتية الأساسية، مثل أبراج التقطير، فتمثل مسألة مختلفة تمامًا. وقال بَن هودجز (Ben Hodges)، القائد السابق للجيش الأمريكي في أوروبا: "لقد طوّر الأوكرانيون نظرية للنصر تقوم على تدمير البنية التحتية الروسية للنفط والغاز، ومن دون ذلك، يصبح من الصعب للغاية على روسيا مواصلة ما تقوم به".

بحلول نهاية شهر آذار/مارس، خلص تحليل أجرته وكالة رويترز إلى أن حملة الضربات قد نجحت في خفض قدرة روسيا على تصدير النفط بنسبة ٤٠٪. وصحيحٌ أن ذلك قد لا يكون كافيًا لتعويض الأرباح الاستثنائية التي حققتها موسكو نتيجة الارتفاع الحاد في أسعار النفط العالمية الذي تسببت به الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران. ومع ذلك، فقد تجاوز عجز الموازنة الروسية خلال الربع الأول من هذا العام بالفعل هدفها السنوي للعام بأكمله. وأشار المسؤولون الماليون إلى انخفاض إيرادات النفط والغاز بنسبة ٤٥٪.

يتكرر هذا النمط من الاستهداف الذكي عبر مختلف القطاعات الصناعية؛ ففي هجماتهم على المنشآت الكيميائية ومرافق تصنيع أشباه الموصلات ومصانع الصلب، يواصل الأوكرانيون استهداف المكونات الأساسية للعمليات الصناعية التي تغذي الآلة العسكرية الروسية. ومن اللافت للنظر أن الروس يبدون عاجزين عن الانتقام من أوكرانيا أو الرد عليها بالأسلوب نفسه.

إن اللامركزية التي يتسم بها الإنتاج العسكري الأوكراني المنتشر عبر عدد كبير من المصانع الصغيرة الواقعة في مواقع غير مرئية، تجعل من الصعب للغاية على الروس العثور على أهداف فعّالة لضربها، ولذلك يواصلون استهداف محطات الطاقة والمدنيين، وهي تكتيكات قاسية قد تؤدي، في الواقع، إلى تعزيز صمود الأوكرانيين.

ويتجلى تحول الزخم لصالح أوكرانيا أيضًا في النبرة المتزايدة ثقة التي بات يعتمدها زيلينسكي تجاه الولايات المتحدة؛ فقد صرّح مؤخراً قائلاً: "من وجهة نظري، تلاعبت روسيا بالأمريكيين مرة أخرى، وتلاعبت برئيس الولايات المتحدة"، وذلك تعليقًا على سياسة ترامب التي سمحت لروسيا بالتحايل على العقوبات المفروضة على مبيعات النفط. ويبدو أن زمن التملّق واسترضاء الطرف الآخر قد ولّى.

بالطبع، لا تزال أوكرانيا تواجه العديد من المشكلات؛ فاعتمادها المتزايد على الطائرات المسيّرة يعود، جزئيًا، إلى النقص المستمر في القوى البشرية العسكرية، إذ يرفض العديد من الرجال الأوكرانيين الانضمام إلى الجيش. كما تواصل الحكومة مواجهة فضائح تتعلق بالفساد.

مع ذلك، وفي الوقت الذي تواجه فيه موسكو تحديات جديدة، تشهدُ كييف تحسنًا في مكانتها الدولية، فقد أتاحت الحرب في إيران فرصًا دبلوماسيةً جديدةً لها، وبالتالي فإن من شأن الأوكرانيين استغلال خبرتهم في مجال مكافحة الطائرات المسيّرة لكسب حلفاء جُدد مع ممالك الخليج. ويبدو أن انشغال ترامب بحربه التي يخوضها قد قلّل من فرص ممارسته ضغوطًا على كييف لدفعها نحو تسويات سلمية غير مواتية لها.

كما أن الهزيمة الأخيرة التي مُني بها رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان في الانتخابات حرمت بوتين من أوثق حلفائه داخل الاتحاد الأوروبي؛ فقد أتاح خروج أوربان أخيرًا للاتحاد الأوروبي كسر حالة الجمود الذي اكتنف حزمة مساعدات بقيمة (١٠٦) مليارات دولار لكييف، طال انتظارها؛ وكانت تعد كافيةً لتزويد أوكرانيا بالأسلحة لفترة طويلة، بصرف النظر عن مشاريع الإنتاج العسكري المشتركة العديدة التي أقامتها مع شركائها في مختلف أنحاء العالم.

ومما يزيد الطين بلة أن موسكو ماضية أيضًا في خسارة أحد حلفائها الجدد الذين طالما تباهت بهم في أفريقيا؛ إذ إن الحكومة العسكرية المدعومة من موسكو في مالي ماضية في خسارة معركتها ضد المتمردين الإسلاميين.

إن خسارة مالي لن تكون كافيةً للإطاحة ببوتين من سدة الحكم، أما خسارة الحرب في أوكرانيا، فقد تكون كذلك بالتأكيد، ولا سيّما إذا اقترنت باقتصاد راكد، وأوساط الأوليغارشية المتململة، وشعب أثار استياءه تشديد الكرملين حملته مؤخرًا على الإنترنت. وحتى المدونون العسكريون الروس، الذين لطالما كانوا من أكثر المؤيدين المتحمسين للحرب، بدأوا يفقدون ثقتهم، وقد كتب أحدهم مؤخرًا: "شيئًا فشيئًا، تميل الكفة إلى صالح أعدائنا... فالعدو يشن هجومًا مضادًا(٤)، وهو يحقق نجاحًا في ذلك". ولعل كثيرًا من الروس باتوا يتوصلون إلى النتيجة نفسها.

الهوامش:

(١) كريستيان كاريل، كاتب عمود في مجلة فورين بوليسي والرئيس السابق لمكتب موسكو في مجلتي نيوزويك (Newsweek) ويو إس نيوز آند وورلد ريبورت (U.S. News & World Report).

(٢) حاصلة على درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها، ومترجمة في مركز الرافدين للحوار.

(٣) البارانويا أو جنون الارتياب (Paranoia) هو اضطراب نفسي يشعر به المريض دائمًا أنه معرض للاضطهاد والتهديد، والشعور بالخطر والملاحقة من الآخرين، بدون أي دليل واقعي يبرّر هذه الأفكار، كما تترافق الحالة مع شكوك غير عقلانية، وعدم الثقة بالآخرين، وقد تتفاوت شدّتها بين حالات عابرة وأخرى مزمنة. [المترجمة]

(٤) الهجوم المضاد هو تكتيك عسكري تستخدمه القوات المدافعة عن طريق دفع كل أو بعض قواتها لمهاجمة قوات العدو التي تهاجم قطاعتها، الهدف الأساسي من الهجوم المضادة هو احباط هجوم العدو أو استعادة الأراضي التي كانت قد خسرتها في ميدان المعركة. مصطلح الهجوم المضاد يستخدم أيضا في غير المجالات العسكرية مثل السياسة. [المترجمة]